

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ظلت مسألة تحديد أوائل الشهور القمرية من أجل عبادة الصوم تثير جدلا صاخبا بين المسلمين زمنا طويلا، فلا تخلو سنة من السنوات منذ عقود من اختلافات وخصومات في هذا الشأن بين المسلمين في الشرق والغرب على حدّ سواء، وظلت لذلك تخلف في النفوس شعورا بالمرارة، بسبب ما تفضي إليه تلك الخلافات والخصومات من فوات مصالح كثيرة لعلّ من أهمها ما يلحق بصورة الإسلام والمسلمين من تشويه في عيون الملاحظين من العالمين حينما يرون البداية في عبادة الصوم وكذلك النهاية فيها احتفالا بالعيد تتفاوت بين الدول الإسلامية باليوم واليومين والثلاثة وربما بالأربعة، وذلك في عالم حطت فيه أقدام الإنسان على أرض القمر الذي يختصم المسلمون في بداية ظهوره ومغيبه، فماذا عسى أن يكون نظر هذا الإنسان الذي حطت أقدامه على سطح القمر منذ أربعة العقود إلى قوم ما زالوا يختصمون في تحديد مطالعه؟

ولو كان هذا الأمر موضوع الاختصام من الخطورة في مستقبل الأمة بحيث يستحقّ هذه الخصومة لهان الأمر، إذ قد يقال إنّ القضايا ذات الأهمية التي يكون لها تأثير في مجرى الحياة أو في تحديد المصير قد نجد مبررا للاختصام فيها، ولكن تحديد مطلع القمر من أجل الصيام ليس إلا مجرد علامة لبداية العبادة دون أن تكون طريقة التحديد التي يختصم القوم جراها داخلة ضمن هذه العبادة أصلا، وهو ما يكشف عن عمق المأزق الذي يعاني منه المسلمون في هذا الأمر.

إن من أهمّ مقاصد الدين وحدة الأمة، وحدة إيمانية وثقافية واجتماعية وسياسية وشعورية، ولا تخلو عبادة من العبادات المفروضة من أن تكون مبنية على هذا المقصد مرتبة بما يؤدي إلى

تحقيقه، ولو تأملنا عبادة الصلاة في جماعيتها، والزكاة في تكافلها، والحج في عرفاته لتبين لنا هذا المقصد جليا. وعبادة الصوم تندرج ضمن هذا السياق بامتياز، فالشهر واحد، والعيد واحد، وموعد الإمساك والإفطار واحد لكل المسلمين مهما تباعدت بهم الأقطار، وصومهم يوم يصومون، وعيدهم يوم يعيدون، فماذا سيكون مصير هذا المقصد العظيم من مقاصد عبادة الصوم حينما يختصم المسلمون في تحديد طريقة دخول الصوم وخروجه، وينتهي الأمر بأن تكون لهم بدايات عوض البداية الموحدة، ويكون لهم أعياد عوض العيد الجامع؟ بل كيف يكون مصير هذا المقصد حينما تكون الأسرة الواحدة يصوم فيها بعض ويفطر بعض آخر في البداية، ويكون فيها أعياد بعدد الأفراد أحيانا في النهاية كما هو حاصل اليوم؟

لقد آن الأوان، بل قد آن منذ زمن بعيد لينظر المسلمون في هذه القضية نظرة جدية، ويستعملوا فيها فقه المقاصد، إذن لتبين لهم أن تحديد أول شهر الصيام إنما ينبغي أن يكون بالطريقة التي تثبت بها تلك البداية بصفة موضوعية يلتقي عليها جميع الناس في الشرق والغرب، فلا يكون فيها مجال للاختلاف بين المسلمين، اعتبارا لكون طريقة الإثبات إنما هي من أجل تحديد بداية العبادة وليست هي في ذاتها جزءا من تلك العبادة، وإنما إذن يمكن أن تتطور إلى ما هو أحسن في التحديد وأدق في الضبط، حفظا في ذلك لمقصد عظيم من مقاصد عبادة الصوم وما يتبعها من فرحة العيد، ألا وهو وحدة المسلمين من جهة، وحفظ هيبتهم وهيبة الإسلام من جهة أخرى حتى لا يتخذون ويتخذ هزوا حينما يرى العالم لهم رمضانات متعددة وأعيادا مختلفة وهما في الحقيقة واحد كما شرعهما رب العالمين.

إن هذا البحث الذي بين أيدينا درس هذه القضية درسا مستفيضا وحلها تحليلا وافيا، ووقف فيها على المفاصل المهمة في الموضوع، وأورد الآراء المختلفة بأدلتها وحججها بصفة موضوعية، منبها إلى المحاذير والإحراجات التي تنتج عن خلافات المسلمين في يوم صومهم ويوم عيدهم، حتى انتهى إلى ما رآه الحلّ الناجع في هذه القضية، وهو الحلّ الذي يستعمل فيه المسلمون الطريقة القطعية في تحديد يوم الصوم ويوم العيد، بانبا ذلك على أدلة من النقل ومن

العقل، ومستعملا في التقرير مقاصد الشريعة في هذا الموضوع وهو ما يغفل عنه كثير من الباحثين فيه، فكان البحث وافيا مسهما في حلّ هذه المشكلة التي طال أمدها، وما كان له أن يطول. فجزى الله الباحث خيرا على ما بذل من جهد، ووفق الله المسلمين إلى ما فيه خيرهم وخير العالمين.

الدكتور عبد المجيد النجار
الأمين العام المساعد
للمجلس الأوروبي للإفتاء

والبحوث